شرح

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام
أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية

شرحها

الشيخ/ توفيق الصائغ

الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا وإمامنا وقدوتنا محمدٍ وعلى آله وصحابته وسلم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد ...

لا نزال مع شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- [٠٠:٠٠:٢٤] صغيرة الحجم، الكبيرة المعنى، العظيمة النفع، رسالة العقيدة الواسطية التي كتبها -رحمه الله تعالى- في بيان معتقد أهل السنة والجماعة لمن سأله من أهل واسط، وكنا معه -رحمه الله تعالى- في تأصيله لمعتقد أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات، وخلاصة الكلام في باب الأسماء والصفات عند شيخ الإسلام -وهو مذهب الأئمة من سلف الأمة رحمهم الله جميعًا- أننا معاشر أهل السنة نثبت لله ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وما أثبته له نبيه -صلى الله عليه وسلم- في صحيح سنته، معتقدين أن الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، ومعتقدين كذلك أن هذا الإثبات لا يلزم منه تشبيه الله -تعالى- أو تمثيله بأحد من خلقه، فهو اعتقاد سالم عن التحريف والتشبيه والتعطيل والتمثيل والتأويل والتحريف، تحت قاعدة عامة أصّلها القرآن فيها النفي والإثبات، وهي قوله -تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

وعلى وجازة هذه القاعدة، إلا أنه وقع فيها خلاف طويل عريض بين طوائف منتسبة للأمة، ولذلك لا غرابة أن يحشد لها شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- نصوصًا كثيرة من القرآن والسنة، استعرضنا هذه النصوص أو جزءًا منها في المجلس السابق، إلى أن وصلنا إلى قوله -تعالى-: (﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥])، أراد هنا أن يثبت قضية الحب أم أراد أن يثبت قضية نفي الأنداد؟ السؤال إليكم. نفي الأنداد نعم، بدليل أنه ذكر في الآية قبلها: (﴿فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢])، والأنداد هم الأمثال والنظراء، والله تعالى متعالٍ عن أن يكون له شبيه أو ند أو مثيل أو ظهير، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ثم سرد نصوصًا -رحمه الله تعالى- مررنا على بعضها، ومنها أيضًا: قوله تعالى: (﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١])، وهذه النصوص أراد الله -عز وجل- بها أن ينفي عن ذاته القدسية العلية -جل وعلا- أن ينفي هذه الأمور، أن ينفي السمي والكفء، والند، والولد، والشريك، والولي من الذل والحاجة، إذا نفينا كل ذلك عنه -سبحانه وتعالى- فإنه يستلزم أن نثبت له كمال العظمة، فهو -سبحانه وتعالى- ليس بحاجة لا لولي، ولا شريك، ولا ولي من الذل؛ لكمال قوته -سبحانه وتعالى-، بل الكل يفتقر إليه -جل وعلا-، وهو غني عن الكل -سبحانه وتعالى-.

بعد ذلك أيضًا سرد قوله -تعالى-: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]، هذا النص يصلح أن يكون دليلًا على تنزيه الله -سبحانه وتعالى-؛ لأن التسبيح تنزيه، ويصلح هذا النص في باب إثبات الصفات أن يكون دليلًا على إثبات الملك لله -سبحانه وتعالى-، فمن صفاته أنه مالك وأنه ملك -جل وعلا-، كما في قوله -تعالى- في الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة:٢-٤] في قراءة، و(مالك يوم الدين) في قراءة، فهو مالك، وهو ملك، وله الملك بجميع الاعتبارات -سبحانه وتعالى-، فالنص فيه إثبات بالتنزيه لله -جل وعلا-، وفيه أيضًا إثبات الملك، والملك أيضًا يقتضي القدرة، ولذلك ختم الآية بقوله -تعالى-: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فأهل السنة من خلال هذا النص يثبتون لله الملك، ويثبتون له القدرة.

قال بعدها ربنا -جل وعلا-: (﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١: ٢])، في قوله: (﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾) أنواع البركات والزيادة له -سبحانه وتعالى-، ومن صفاته -جل وعلا- أنه نزل الفرقان على عبده، وهذا التنزيل فيه معنى آخر ضمني لصفة أخرى من صفاته -جل وعلا-، وهي صفة العلو؛ لأن التنزيل يكون من أعلى إلى أسفل، كما أن العروج في قوله -تعالى-: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر:١٠] يدل أيضًا ضمنًا على صفة العلو، وسيمر معنا، فصفة العلو مصرّح بها في قوله -تعالى-: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥] صراحةً، وأيضًا تؤخذ في النصوص ضمنًا من قوله.. كل ما فيه تنزيل القرآن يدل على علوه -جل وعلا-.

قال الله تعالى: (﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ١: ٢])، ففيه إثبات كثرة البركة والخير له -سبحانه وتعالى-، وفيه إثبات العلو من قوله: (﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾)، وفيه إثبات الملك (﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾)، وفيه أيضًا نفي الشريك والولد، وتنزيهه -سبحانه وتعالى-، وفيه إثبات القدرة، وفيه إثبات الخلق (﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾).

ثم أورد الإمام -رحمه الله تعالى- قول الله -عز وجل-: (﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُم عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١])، هذا النص دليل على ماذا فيما نحن بصدده؟ دليل على:

- أول شيء: نفي الولد ونفي الشريك.

- ثم تنزيه المولى -سبحانه وتعالى-.

وبعد هذا كله قال الله: (﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٢])، ففيه إثبات العلم له -سبحانه وتعالى-.

قلت لكم: إن هذا الحشد الهائل الذي أورده شيخ الإسلام يدلل على أن نصوص القرآن شاهدة إلى ما ذهب إليه من التقعيد الأول.

ومنه قوله -تعالى-: (﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤])، الشاهد في قوله: (﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾) فيه إثبات العلم لله -سبحانه وتعالى-، فالله عالم، والله عليم -جل وعلا-، وقبل ذلك في قوله: (﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ﴾)، هذا نفي مجمل أم مفصل؟ نفي مجمل، يعني: الله -سبحانه وتعالى- حين يقول: (﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ﴾) يعني النظراء الشركاء، لا تشبّهوا الله بخلقه، هذا نفي مجمل، لكن لما يقول الله -سبحانه وتعالى-: (﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾)، هذا نفي مفصل، فهو نفى عن نفسه الولد، يعني: الأمثال هؤلاء قد يكونون أولادًا، قد يكونون [٠٠:١١:١٠]، قد يكونون نصراء، قد تكون ملائكة، قد تكون بنات كما زعم المشركون، فـ (﴿فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ﴾) مجمل، كل الأمثال، كل النظراء، أما حين عدّد، فلم يتخذ وليًّا، لم يكن له شريك، فهذا نفي مفصل.

في قوله: (﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]) لماذا أورد الإمام هذا النص؟ يعني: هو كان الآن يسرد لنا نصوصًا من القرآن تدل على ما ذهب إليه من إثبات الصفات: إثبات العلم، والبصر، والقدرة، والسمع، والحياة، هذا النص ما علاقته بباب الأسماء والصفات؟ لماذا أورده الإمام؟ على أي شيء يدل؟ نص شرعي فيه أحكام شرعية صحيح، لكن فيما نحن بصدده في باب الأسماء والصفات هناك موضوع أخصّ، ألم نقل في صدر بيان معتقد أهل السنة والجماعة أن مصدر التلقي في إثبات الأسماء والصفات هو الكتاب والسنة؟ بلى، ألم نقل أن عامة ما وقع فيه أهل البدع إنما هو من قبيل القياس العقلي، من قبيل أنه وقع في أذهانهم التشبيه، فأرادوا أن يفروا من التشبيه، فوقعوا في التعطيل؟ بلى، إذًا هنا يريد أن يقرر شيخ الإسلام حرمة القول على الله بغير علم، بعد أن قرر أن الله أعلم بنفسه من غيره، وأنه أصدق قيلًا، وأحسن حديثًا، وأن أنبياءه ورسله مصدَّقون صادقون، وأنهم جاءوا بالوحي من عند الله -سبحانه وتعالى-، أراد أن يبين هنا تحريم القول على الله بغير علم، والله -عز وجل- قد عدّه من الكبائر، وقرنه بأمهات الآثار.

يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه العظيم (إعلام الموقعين)، قال: (وقد حرم الله القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ

﴿الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[الأعراف:٣٣]، فالقائلون بتشبيه الله -عز وجل- بخلقه، أو المعطلون لصفاته، أو الممثلون، أو المحرفون، أو المؤوّلون -قائلون على الله بغير علم؛ لأنهم إن جانبوا القرآن والسنة فقد اتخذوا سبيلًا آخر، وهذا السبيل لا يعد علمًا؛ لأن الله لا يقاس بغيره، والله -سبحانه وتعالى- لا تستوعبه الأخيلة، فعليه كل صفة وُصف الله بها ليست في القرآن ولا في السنة هي قول على الله بغير علم، وهذا القول منزلته في الدين أنه في أمهات الكبائر، ولذلك حشره الله -سبحانه وتعالى- مع الفواحش، ومع البذيء، ومع الشرك، وجعله بين هذه الأمات -أمات الكبائر-، إذًا مناسبة ذكر هذه الآية عند شيخ الإسلام: لبيان تحريم القول على الله بغير علم.

ثم عاد لما كان بصدده، وهو حشد النصوص التي تثبت لله -تعالى- الصفات، قال الله -تعالى-: (﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥])، وقال تعالى: (﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤])، هذا النص لماذا ذكره شيخ الإسلام؟ لبيان صفة الاستواء، وما معنى الاستواء؟ العلو والاستقرار، وأنا هنا أسأل عن معنى الاستواء لأنه وقع عند المبتدعة معنى آخر مر معنا، حرفوا معنى الاستواء إلى الاستيلاء، واستدلوا ببيت مصنوع:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ولا دم مهراق

أما الوارد في نص القرآن والصريح هو ذكر الاستواء، وقد ورد كما نص شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- هذا اللفظ في ست مواضع من كتاب الله -تعالى-، قال الله -عز وجل-: (﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢])، وقال: (﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥])، وقال: (﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤])، وقال: (﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد:٤])، يعني: علا وارتفع واستقر.

إذًا هذه الآيات كلها تدل على صفة من صفات المولى -جل وعز-، وهي صفة الاستواء، والاستواء من حيث المعنى العام معروف لكل ناطق بالعربية، لذلك لما جاء الرجل يسأل الإمام مالك -رحمه الله تعالى-، قال: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، كيف استوى؟ فأطرق مالك، وعلاه الرضحاء -العرق- من هول هذا السؤال، كيف يجرؤ إنسان أن يطلب الكيفية؟! ثم رفع رأسه فقال: (يا هذا، الاستواء معلوم)، يعني: من حيث المعنى العام معروف، العلو والاستقرار، استوى: علا واستقر، (والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلا مبتدعًا، ثم أُمر به فسُحب وأُخرج من المسجد).

(﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه: ٥]) وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] **في ستة مواضع**)، كل هذه ذكرها المؤلف -رحمه الله- لإثبات صفة الاستواء.

تقول الأخت إيمان: هل يأتي الاستواء بمعنى الجلوس على العرش؟

نحن نقول: العلو والاستقرار، الألفاظ العقدية دقيقة جدًّا؛ لأن مثل الجلوس إذا لم يردنا نص بهذا المعنى لا نستطيع أن نترك النص الوارد إلى غيره؛ لأنه إذا اتخذنا نصًّا غير وارد سيلزم عليه لوازم، (﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥])، نحن نقول: علا واستقر، دون الخوض في تفصيل لم يردنا فيه،

إذًا ذكر هذا النص لبيان صفة الاستواء، ثم ذكر بعده قول الله -سبحانه وتعالى-: (﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥])، النص هذا يدل على ماذا؟ نظير ما ذكرته قبل قليل، صفة العلو، ليس الرفع، الرفع هنا فعل، الله حين يقول: (﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾)، هذا من أفعال الله، باب الأفعال واسع كما مر معنا، الله يطعمنا ويسقينا، هذا فعل الله، الله يشفينا، هذا فعل الله، باب الأفعال واسع، كل ما يحدث لنا هو من فعل الله -عز وجل- ، نجحت بتوفيق الله، الله وفقني، الله نجحني... إلخ.

(﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾) ليس هذا الشاهد الذي أراده الإمام -رحمه الله تعالى-، وإنما أراد إثبات صفة العلو لله -سبحانه وتعالى-، وقلت لكم أن العلو ثابت نصًّا في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[طه:٥]، وضمنًا في كل آيات التنزيل أو آيات العروج والصعود؛ لأنها كلها تدل ضمنًا على أن الله -سبحانه وتعالى- له العلو.

قال الله تعالى: (﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه﴾ [النساء: ١٥٨])، أيضًا على صفة العلو، (﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]) أيضًا لإثبات صفة العلو، وفي قوله: (﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ [غافر: ٣٦: ٣٧])، يعني حتى هامان مع تكذيبه لموسى، إلا أنه حين أراد أن يصنع ما في ظنه أنه [٠٠:٢٠:٥٨].

وفي قوله -تعالى-: (﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦])، المعنى: أأمنتم الذي في السماء.

إذًا كل هذه النصوص لإثبات صفة العلو، (﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥])، الرفع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى، فالله في العلو، (﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْه﴾ [النساء: ١٥٨])، الرفع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى، فالله -سبحانه وتعالى- له صفة العلو، وقوله: (﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠])، الصعود والعروج والرفع يكون من أسفل إلى أعلى ولله -سبحانه وتعالى- صفة العلو، وفي قوله -تعالى-: (﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦: ٣٧])، هذا فرعون مع تكذيبه لموسى، إلا أن فطرته تقول بأن إله موسى في جهة العلو، وهذا يدل أيضًا ضمنًا أن من ضمن ما جاء به موسى عليه السلام وأخبر به فرعون أن إلهه في السماء، فأراد فرعون أن يكذبه، ويصل إلى السماء بالأسباب.

وقوله -تعالى-: (﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦])، أي: أأمنتم الذي في السماء، فالله -سبحانه وتعالى- هو الذي في السماء، الخطاب: أأمنتم الذي في السماء، أأمنتم الله (﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾)، ثم أعاد أخرى فقال: ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٧])، والشاهد فيه إثبات أن الله في السماء، وسيمر معنا نص صريح من السنة عندما يشرع المؤلف -رحمه الله تعالى- في بيان الأدلة على الأسماء والصفات من السنة، كل هذا الحشد لا زال في الأدلة القرآنية، ولم يتطرق لحديث واحد؛ لأنه سيسرد بعد ذلك الأحاديث.

قال: وقوله تعالى: (﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤])، الآن سريعًا استخرجوا لي من هذا النص الصفات الواردة فيه، طبعًا هو ذكره لبيان صفة واحدة.

- فيه صفة العلم نعم.
- أيضًا فيه صفة الخلق.
- فيه صفة الاستواء نعم.
- فيه البصر، أحسنتم!

لكن المؤلف أراد بيان أن الله -سبحانه وتعالى- له صفة، هذا سيظهر معكم بقراءة النص الذي بعده والذي بعده، أراد بيان صفة.. لا ليس العلم، أراد أن يؤصل لبيان صفة المعية، في قوله تعالى: (﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾)، وهذه الصفة واضحة أيضًا في النص الذي يليه، في قوله -تعالى-: (﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧])، (﴿هُوَ مَعَهُمْ﴾) لإثبات صفة المعية.

وقوله -تعالى-: (﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠])، أيضًا فيه إثبات صفة المعية، (وقوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦])، وقول الله -تعالى-: (﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨])، وقول الله -تعالى-: (﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦])، وقوله -تعالى-: (﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩])، لكن هنا عندنا فرق، بمعنى أن المعية كونها صفة من صفات المولى -سبحانه وتعالى-، إلا أنها تنقسم في التقسيم العلمي إلى قسمين: معية عامة ومعية خاصة، حين يقول الله -سبحانه وتعالى-: (﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ﴾)، أيًّا كان هؤلاء، سواء أكانوا مؤمنين أو فجارًا، أو مسلمين أو كفارًا،

فالله -سبحانه وتعالى- مع خلقه معيةً عامةً، هذه المعية تقتضي العلم والإحاطة، يسمع السر والنجوى، ويعلم السر وأخفى -جل وعلا-، لا يعزب عنه شيء، ولا يغيب عن سمعه وبصره شيء، فهو مطلع على كل شيء، يسمع دبيب النملة السوداء على الصفاة الصماء في الليلة الظلماء -جل وعلا-، هذه معية عامة، مقتضاها العلم والإحاطة، لكن في نحو قوله تعالى: ﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾، وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾، وفي قوله: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾، هذه معية خاصة، هذه معية مقتضاها فوق المعية العامة التي هي الإحاطة والعلم، فهي معناها الحفظ والصيانة والرعاية، وهذه تكون لخاصة أوليائه -جل وعلا-، فالله -سبحانه وتعالى- مع قارون وهامان وهؤلاء القوم، لكن معهم بعلمه وإحاطته، وليس معهم بنصره وتأييده ورعايته وعنايته، ولكنه مع موسى وهارون بعلمه وإحاطته، بالإضافة إلى حفظه وصيانته ورعايته -جل وعلا-، لذلك يقول أهل العلم: المعية معيتان:

- معية عامة: شاملة لجميع المخلوقات.

- ومعية خاصة: مقتضاها الحفظ والتأييد والنصرة، وهذه لا تكون إلا لأولياء الله -جل وعلا-.

فنحن نثبت لله صفة المعية، ونبتعد عن لوازم هذه الصفة التي طرأت على أذهان الذين أعرضوا عن الكتاب والسنة، يعني لا يقتضي من هذه المعية أنه ينافي الاستواء والعلو، كون الله -سبحانه وتعالى- مع خلقه لا يعني أنه خلا منه العرش، هذه أمور قد تتحقق في حق المخلوق، لكنها في حق المولى -سبحانه وتعالى- ليس بالضرورة أن تتحقق، نثبت له الاستواء كما أثبته لنفسه، ونثبت له المعية كما أثبتها لنفسه، دون اعتقاد بأن هذا يناقض هذا أو ينافيه.

بعد أن ذكر الصفات الدالة على المعية، ذكر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]، الجواب: لا أحد أصدق من الله حديثًا.

(﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾)، هنا يريد أن يثبت ماذا؟ يريد أن يثبت لله صفةً خاصةً، وهي صفة الكلام، إذًا الله -سبحانه وتعالى- من صفاته أنه يتكلم، فالله -جل وعلا- يتكلم، والدليل على ذلك قوله -تعالى-: (﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً﴾ [النساء: ١٢٢])، لا أحد، وقوله -تعالى-: (﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١١٦])، وهذا القول لعيسى إنما كان كلامًا، وأصرح منه قوله -تعالى-: (﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً﴾ [الأنعام: ١١٥])، فالكلمة هنا المضافة تدل على الكلام، الله -سبحانه وتعالى- متكلم، قال الله في أصرح من ذلك: (﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤])، طبعًا أهل البدع لينفوا ذلك قالوا: المعنى: وكلم اللهَ موسى تكليمًا، كأن فعل الكلام صدر من موسى، ولم يصدر من الله -تعالى-، لكن الذين جنحوا إلى هذا ماذا يصنعون في الآية الأخرى التي يقول الله -عز وجل- فيها: (﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:

١٤٣])؟ هذه ما فيها مفر، إذا أردتم أن تحرفوا في نص الآية هنا، لا تستطيعون أن تحرفوا في نص الآية الأخرى التي كانت صريحةً في أن مصدر الكلام كان من المولى -سبحانه وتعالى-، (﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾).

ومما يدل على أن الله يتكلم: قول الله -تعالى-: (﴿ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣])، يعني: الرسل (﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾).

وقوله: (﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله: ﴿نَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، وقوله: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا﴾)، أي: نادى آدم وحواء (﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢])، فمن عند قوله: (﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا﴾) إلى قوله: (﴿عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾) هذا كلام، ومصدر هذا الكلام هو المولى -سبحانه وتعالى-، فالله متكلم، يتكلم إذا شاء، متى شاء -جل وعلا-.

ومما يدل على ذلك قوله -تعالى-: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[القصص:٦٢]، نقول: القول: ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ هذا كلام، وهذا الكلام صدر منه -جل وعلا-.

(﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥])، إذًا هنا شيخ الإسلام أراد أن يثبت صفة الكلام لله -سبحانه وتعالى- على الوجه الذي يليق به -جل وعلا-، فربنا -جل وعلا- متكلم.

طبعًا أهل البدع ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فقالوا: الله لا يتكلم، وإنما معنى كونه متكلمًا أنه خالق للكلام، وهذا بُعد في التأويل، بل الله -سبحانه وتعالى- خلق الكلام في المخلوقين الذين يتكلمون، وهو -سبحانه وتعالى- متكلم، فالكلام صفة من صفاته، وليس خلقًا من خلقه، وإثبات هذه الصفة مقدمة لإثبات أن القرآن كلام الله، وهذه المسألة وقع فيها خلاف في صدر هذه الأمة، وهي القضية التي تُعرف بفتنة القول بخلق القرآن.

متى حدثت هذه الفتنة؟

زمن الإمام أحمد بن حنبل، لكن الأبعد من ذلك أن من أهل العلم من يقول أن فتنة القول بخلق القرآن فتنة قديمة جدًّا، منهم من يقول أنها حدثت.. لا ليست في عهد أبي حنيفة، أبعد من ذلك، منهم من يقول: إنها حدثت في العهد الأول، وظهرت حتى في عهد الصحابة -رضوان الله عليهم-؛ لأن هذه الفتنة أدخلها على المسلمين وجرها عليهم عبد الله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام، فأدخل على المسلمين هذه البدعة ضمن ما أدخله بعض الذين دخلوا في الإسلام، يعني: بعض المجوس الذين تظاهروا بالإسلام أدخلوا علينا بدعة الإلهين، يعني: عندهم إله الظلمة وإله النور، فمن أخذ بهذا القول من غلاة الرافضة مثلًا يزعمون أن للكون خالقين، وبعضهم يزعم أن عليًّا

شريك في الخلق، ولذلك يقولون: حل اللاهوت في الناسوت، فعلي إله وعلي مألوه، كما قال الأول لعلي بن أبي طالب حتى في حياته، قال: أنت أنت. قال: من أنا؟ قال: أنت الله. يقول علي:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قنبرا

الشاهد أن الذين تظاهروا بالدخول في الإسلام أدخلوا على المسلمين بعض العقائد، عبد الله بن سبأ اليهودي أدخل علينا هذه البدعة؛ لأن اليهود يرون أن التوراة بل وحتى الإنجيل، العهد القديم والعهد الجديد بزعمهم، أنها مخلوقة، ومعتقد أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، فرع عن إيماننا بأن الله -سبحانه وتعالى- متكلم، فالكلام صفة من صفاته، وليس شيئًا صادرًا عنه، ليس خلقًا من خلقه.

ودعونا نتكلم قليلًا عن فتنة القول بخلق القرآن التي ظهرت وانتشرت تقريبًا سنة مائتين وأربعين أو نحوها، وتولى كِبرها رجل اسمه أحمد بن أبي دؤاد، أحمد بن أبي دؤاد كان رئيسًا القضاة في زمن المأمون، المأمون توفي سنة مائتين وأربعين، أحمد بن أبي دؤاد أخذ هذه الفتنة أو هذه البدعة من بشر المريسي الذي أخذها عن الجعد، ظلمات بعضها فوق بعض.

ملخص القول في خلق القرآن أنهم زعموا أن هذا القرآن مخلوق وليس منزلًا، الإمام أحمد صبر لهذه الفتنة، وكان يقول: إن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق. ولذلك حُبس في هذه الفتنة أحمد بن حنبل، وهلك المأمون وأحمد بن حنبل في السجن، فلما تولى المعتصم ظل كذلك أحمد بن حنبل يُضرب حتى يقول بأن القرآن مخلوق، بل بقي مقيدًا في السجن، وكان يصلي بأهل السجن -رحمه الله تعالى-، ويقول -رحمه الله-: (ما نفعني شيء في السجن ما نفعني موعظة لص)، كان أحمد يخاف من السياط، فلقي لصًّا وقال: يا أحمد، أنت دخلت السجن لأمر دينك، وأنا دخلت عشر مرات لأمر الدنيا، ما هو إلا سوط واحد ثم لا تشعر بالباقي. يعني: ينقل له خبرته، فيقول: إن هذا الكلام ثبّته، الخلاصة أنه بقي في عهد المعتصم، وضُرب حتى تساقط جلده -رحمه الله تعالى-.

طبعًا عُذب وضُرب وقُتل في هذه الفتنة عدد، منهم نعيم بن حماد، والبويطي صاحب الشافعي، وعدد، حتى إن بعض الأئمة احتال على هذه الفتنة، وأصبح يقول كلامًا ينجيه فقط من المشكلة، فكان بعضهم يقول -ويشير بأصابعه-: القرآن والتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى، كل هذه مخلوقة. يشير إلى أصابعه، حتى يخرج من هذه الفتنة، لكن أحمد بن حنبل ثبت -رحمه الله تعالى- ثباتًا؛ حتى لا يُفتن الناس والعامة، وكان الناس ينتظرون حتى يكتبوا ما يقول أحمد بن حنبل، فبقي يُضرب ويُجلد ويُسجن حتى قال: القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، طبعًا يترتب على القول بأن القرآن مخلوق أن تكون بعض صفات الله -سبحانه وتعالى- مخلوقة، وهذا لا يصح ولا يجوز.

إذًا أراد هنا شيخ الإسلام بعد أن قرر صفة الكلام للمولى -سبحانه وتعالى-، أن يثبت أن فرع الكلام في إثبات هذه الصفة لله -سبحانه وتعالى- القول بأن القرآن كلام الله، يعني: صفة من صفاته، وهذا نص صريح في

كلام الله، قال: (﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]) ولم يقل: حتى يسمع خلق الله.

قال الله -تعالى-: (﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]) هذا أيضًا إثبات صفة الكلام لله، وأن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق.

وقوله -تعالى-: (﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]. وقوله: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]) فسمى كتاب ربه -جل وعلا- كلامه.

(وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]) القرآن كلام الله.

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]. وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١])، كل هذا فيه إثبات أن القرآن كلام الله، وكلام الله صفة من صفاته.

(وَقَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ١٠١:١٠٢])، مع إثبات أنه كلام الله، فيه أيضًا إثبات صفة العلو من جهة أن التنزيل إنما يكون من أعلى إلى أسفل.

(﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣])، (﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾) يعني: نحن نعلم. قولهم: (﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾) هذا لسان أعجمي، يعني: البشر الذي زعموا أنه يعلم رسول الله أعجمي، (﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾)، فكيف يستوي؟! كانوا يزعمون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يعلمه غلام، إما رومي أو فارسي، والكلام الذي يأتي به النبي -صلى الله عليه وسلم- من عند ربه -جل وعلا- عربي أعجز العرب العرباء أن يأتوا بمثله، فكيف يستوي أن يُنسب هذا إلى العجم، أيًّا كان الذي يزعمون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يتلقى منه القرآن؟

إذًا في الآيات السالفة أراد أن يبين إثبات صفة الكلام من جهة، وأيضًا إثبات أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، فعقيدتنا في القرآن أنه كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به كلامًا على الحقيقة بصوت يسمعه غيره -جل وعلا-.

ثم بعد ذلك سرد نصوصًا تدل على صفة الرؤية، قال: (﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢: ٢٣])، وهذه من المسائل التي نختلف فيها مع أهل البدع، فأهل البدع يرون أن الله -سبحانه وتعالى- لا يُرى؛ لأن الله يقول: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾[الأنعام:١٠٣]، ونحن معاشر أهل السنة نرى أن من نعيم أهل الجنة في الجنة، بل أعظم نعيم أهل الجنة أن يروا ربهم، قال الله -تعالى-: (﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾) من النضارة (﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾)، وقال الله -تعالى-: (﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣])، يعني: إلى الله -سبحانه وتعالى-، وقال: (﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦])، أما الحسنى فهي الجنة كما ثبت في صحيح مسلم، والزيادة هي رؤية وجه المولى -سبحانه وتعالى-، جعلني الله وإياكم ممن يرونه في الآخرة.

(وَقَوْلُهُ: ﴿لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥])، المزيد هو رؤية الله -سبحانه وتعالى-، (وَهَذَا الْبَابُ فِي كِتَابِ اللهِ كَثِيرٌ، مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ؛ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ).

تبقى عندنا مسألة في موضوع الرؤية، وهي هل رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- ربه ليلة عُرج به إلى السماء؟ كلكم تقولون: لا؟ يعني: قولًا واحدًا، محل اتفاق؟ رأى نورًا، يعني: ما رأى اللهَ -سبحانه وتعالى-؟ قال الله -تعالى-: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[النجم:١٨]، هذه المسألة فيها خلاف حتى بين الصحابة -رضوان الله عليهم-، لكن الراجح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم ير ربه -جل وعلا-؛ لأنه إنما رأى الآيات الكبرى، وحين سئل عن الرؤية، قال -عليه الصلاة والسلام-: «نور، أنى أراه؟».

إذًا بنهاية هذه الآية يكون شيخ الإسلام قد ذكر الآيات التي تنصر مذهبه في إثبات الأسماء والصفات على ما أثبتها الله لنفسه -جل وعلا- في كتابه، دون تحريف، ولا تعطيل، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ومر معنا أن هذه الصفات منها ما هو صفات ذاتية، يعني: لا تنفك عن الذات، هي ملازمة للذات؛ مثل: العلم، والقدرة، والمشيئة، والحياة... إلخ، وهناك صفات فعلية متعلقة بمشيئته، يفعلها -سبحانه وتعالى- متى ما شاء، مثل: النزول.

وأهل السنة -عليهم رحمات الله- خالفهم في ذلك الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

- الجهمية ينفون الأسماء والصفات جميعًا.

- المعتزلة ينفون جميع الصفات، ويثبتون الأسماء والأحكام.

- أما الأشاعرة فإنهم يوافقون أهل السنة في إثبات سبع صفات فقط، وينفون ما عداها. من يتذكر هذه الصفات السبع التي يثبتها الأشاعرة دون غيرها؟ هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، هذه فقط التي يثبتها الأشاعرة.

ثم بعد ذلك انتقل -رحمه الله تعالى- لبيان أدلة السنة على أبواب الأسماء والصفات، وصدّر ذلك بقوله -رحمه الله تعالى-، قال: (ثُمَّ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ -صلى الله عليه وسلم-، فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ وَتُبَيِّنُهُ، وَتَدُلُّ عَلَيْهِ،

وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِك)، ما معنى هذا الكلام؟ معناه أن المصدر الثاني من مصادر التلقي هو السنة، والسنة جاءت لبيان المجمل في القرآن، أو لتفسير ما يحتاج لتفسير في القرآن، إذًا هنا يريد أن يبين شيخ الإسلام أن السنة جاءت متفقةً متسقةً مع القرآن، لم تناقض القرآن في شيء، ولم تخالف القرآن في شيء، فهي مصدر من مصادر التلقي، ولها الحجية التي ثبتت أيضًا للكتاب.

ومما يدل على حجية السنة قول الله -تعالى-: ﴿وَأَنزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء:١١٣]، وقوله -تعالى-: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة:١٢٩]، والحكمة هي السنة، وقد قال الله -تعالى- آمرًا أمهات المؤمنين، قال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[الأحزاب:٣٤]، وقال -عليه الصلاة والسلام-: «أما إني أوتيت القرآن ومثله معه»، ومثله معه المقصود به السنة، فالسنة ثبتت حجيتها في الاستدلال؛ لأنها وحي يوحى.

ومنزلة السنة من القرآن كما ذكر في النص أنها تفصل المجمل، وتقيد المطلق، وتوضح القرآن، وتبين المراد منه، وتخصص العموم، فالسنة إذًا متسقة مع القرآن، إما في تخصيص العام، أو تقييد المطلق، أو تفصيل المجمل، أو بيان المراد، قال الله -تعالى- لنبيه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل:٤٤]، فسمى هذه السنة بيانًا للذكر، الذكر القرآن، وما يتكلم به النبي -صلى الله عليه وسلم- إنما هو بيان للمجمل في القرآن.

وعليه، فأهل السنة -رحمهم الله تعالى- يعتبرون حجية السنة، حجية ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول وفعل وتقرير، يعتبرونه حجةً كحجة القرآن.

وأما [٢٧:٤٩:٠٠] -أعني أهل البدع- فمنهم من يرفض السنة جملةً وتفصيلًا، ومنهم من يثبت فقط الأحاديث المتواترة، وينفي الاحتجاج بأحاديث الآحاد، وأهل السنة يثبتون ما صح من سنة النبي -عليه الصلاة والسلام-، ويحتجون به.

قال -رحمه الله-: (فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِك)، هذا السطر على وجازته يحمل قواعد مهمة جدًّا:

١- أننا نثبت الصفات بالسنة، شريطة أن تكون هذه السنة صحيحةً، تلقاها أهل المعرفة بالقبول، ومعنى قوله: (صحيحة) أن الحديث -كما لا يخفى عليكم- إما أن يكون صحيحًا، أو حسنًا، أو ضعيفًا، الصحيح والحسن في جملة المقبول، أما الضعيف والموضوع ففي جملة المردود، ومن تأمل النصوص المتعلقة بالصفات والأسماء التي اعتمدها أهل السنة يجدها أنها كلها صحيحة مأخوذة بالقبول، العقائد لا تثبت بالأحاديث الضعيف، ولا بالأحاديث

الموضوعة، ولم يثبت أهل السنة بالحديث الموضوع، ولا بالضعيف، لم يثبتوا به أصلًا من أصول الاعتقاد، وإنما اعتمدوا الحديث الصحيح.

طبعًا معرفة الحديث الصحيح من غيره هذا بابه باب آخر، وهو باب المصطلح، لكن نقول: إن الحديث الصحيح المعتبر عند أهل العلم هو.. قال في البيقونية:

أولها الصحيح هو ما اتصل إسناده ولم يشذ أو يعل

يرويه عدل ضابط عن مثله معتمد في ضبطه ونقله

هذه هي شروط الحديث الصحيح، ما اتصل إسناده برواية العدل الضابط من مبتدئه إلى منتهاه الذي سلم عن الشذوذ والعلة، إذا اجتمعت هذه فيكون الحديث صحيحًا، ويقبله أهل العلم، وهذا باب سبقت إليه أمة الإسلام في توثيق الموروث عن نبيها -عليه الصلاة والسلام-، ونخله تمامًا، ولذلك قيض الله لهذه الأمة أئمةً ينفون عن حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- انتحال المبطلين وتأويل الغالين.

فإذا ثبت عندنا صحة الحديث بالنظر إلى سنده، وسنده معناه سلسلة الرجال، (حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا... إلخ) هذه السلسلة التي يسوقها مالك، التي يسوقها البخاري ومسلم... إلخ، هذه السلسلة إذا ثبت عندنا أن هؤلاء الرجال عدول ثقات حفظة، وأنهم نقلوا نقلًا ليس فيه شذوذ ولا علة؛ حكمنا بصحة الحديث، وإذا صح الحديث أثبتنا به نصوص الصفات، كما أثبتنا الصفات بالثابت، بالقرآن الكريم.

قال: (**فَالسُّنَّةُ تُفَسِّرُ الْقُرآنَ وتُبَيِّنُهُ، وتَدُلُّ عَلَيْهِ، وتُعَبِّرُ عَنْهُ، وَمَا وَصَفَ الرَّسُولُ بِهِ رَبَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنَ الأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ الَّتِي تَلَقَّاهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَبُولِ؛ وَجَبَ الإِيمَانُ بِهَا كَذَلِك**)، مثل ماذا؟ بدأ الآن يمثل، وسيحشد لنا عددًا من الأحاديث التي تدل على الصفات، مثلما ذكر لنا عددًا من الآيات.

قال: (**مِثْلُ قَوْلِهِ -صلى الله عليه وسلم-: (يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**)).

استخرجي من النص صفتين من صفات الله تعالى.

العلو، والنزول، ويمكن أن نزيد أيضًا صفة الكلام (**فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**)، يمكن أيضًا أن نأخذ منها صفة السمع؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- يسمع السائلين، فيستجيب لهم، والداعين فيلبيهم... إلخ.

إذًا الحديث هنا دل على إثبات صفة النزول لله -سبحانه وتعالى-، وهو نزول يليق بجلاله -جل وعلا-، ثبت به الحديث في الصحيحين من حديث أبي هريرة: (**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ**).

ثم ذكر نصًّا بعده لإثبات صفة أخرى، وهو قوله -عليه الصلاة والسلام-: ((لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهُ الْمُؤْمِنِ التَّائِبِ مِنْ أَحَدِكُمْ بِرَاحِلَتِهِ))، أراد أن يثبت صفة الفرح، إذًا الله -سبحانه وتعالى- يفرح؟ نعم، يفرح فرحًا يليق به -جل وعلا-، نثبته بلا تشبيه ولا تمثيل، إلى آخر المحترزات التي نعرفها.

(وَقَوْلُهُ -صلى الله عليه وسلم-: (يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ؛ كِلاهُمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ))، يثبت صفة الضحك، وإثباته هنا على الوجه الذي يليق به -سبحانه وتعالى-، فلا يلزم من إثبات صفة الضحك اللوازم الباطلة التي تكون في ضحك المخلوقين مثلًا، الله -سبحانه وتعالى- يفرح، الله -سبحانه وتعالى- يضحك، الله -سبحانه وتعالى- يعجب كما سيمر.

قال: (وَقَوْلُهُ: (عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ خَيْرِهِ، يَنْظُرُ إِلَيْكُمْ آزِلِينَ قَنِطِينَ، فَيَظَلُّ يَضْحَكُ يَعْلَمُ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ))، النص فيه إثبات صفتين: صفة العَجَب له -سبحانه وتعالى-، وصفة الضحك، فربنا يعجب، وربنا يضحك، وليس عجبه كعجب خلقه، الأخت سناء ذكرت صفة النظر، العجب قد يكون عند البشر من توقع شيء لم يحصل، لكنه ليس بلازم أن العجب عند رب العالمين كالعجب عند البشر.

(وَقَوْلُهُ -صلى الله عليه وسلم-: (لا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ [وَفِي رِوَايَةٍ: عَلَيْهَا قَدَمَهُ] فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ: قَط قَط))، هنا نثبت صفة أن لله قدمًا على الوجه الذي يليق به -سبحانه وتعالى-، لله -سبحانه وتعالى- قدم تليق بجلاله، أثبتها النبي لربنا -جل وعلا-، فنحن نثبتها كما أثبت النبي ذلك.

الحديث المتفق عليه في أعلى درجات الصحة؛ لأنه اتفق على إخراجه البخاري في أصح الكتب المصنفة بعد كتاب الله، والإمام مسلم الذي هو بعده في الصحة.

(وَقَوْلُهُ: (يَقُولُ تَعَالَى: يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوتٍ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِن ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ))، نعوذ بالله، هذا الحديث أراد أن يثبت به صفة الكلام لله -سبحانه وتعالى-، ومر معنا أن الله -جل وعلا- متكلم، يتكلم إذا شاء.

هل نثبت به أيضًا صفة العزة؟

ممكن، ممكن نثبت صفة العزة لله -سبحانه وتعالى-.

(وَقَوْلُهُ: (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ))، إثبات صفة الكلام.

(وَقَوْلُهُ فِي رُقْيَةِ الْمَرِيضِ: (رَبَّنَا اللهَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ اجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حَوْبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِكَ، وَشِفَاءً

مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجِعِ؛ فَيَبْرَأَ))، أراد أن يثبت أن الله في السماء، أيضًا يمكن إثبات بعض الصفات من خلاله، وصفة الرحمة وغيرها.

(وَقَوْلُهُ:(أَلاَ تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ))، الشاهد: **(وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ)**، فالله -سبحانه وتعالى- في السماء.

(وَقَوْلُهُ: (وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ))، هذا فيه إثبات صفة الاستواء، وأيضًا يؤخذ منه صفة العلو.

(وَقَوْلُهُ لِلْجَارِيَةِ: (أَيْنَ اللهُ؟). قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: (مَنْ أَنَا؟). قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: (أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ))، هذا أصرح دليل من السنة في كون الله له جهة العلو، شهد لها بالإيمان حين علمت أن الله -سبحانه وتعالى- في السماء، فمعتقد أهل السنة أن الله في السماء، له العلو المطلق، أما المبتدعة فيقولون: الله في كل مكان، وآخرون يقولون: الله ليس داخل العالم ولا خارجه، ولا متصل به، ولا منفصل عنه، قال بعض الشراح: هذا الوصف أشبه بالعدم، تعالى الله عما يقول الجاهلون علوًّا كبيرًا.

أما معتقدنا نحن معاشر أهل السنة: نعتقد أن الله له جهة العلو، وأن الله -سبحانه وتعالى- في السماء، ولا نتطرق لتأويل المؤولين.

ثم في المجلس القادم -إن شاء الله- سنتطرق للأحاديث الأخرى التي ذكرها الإمام -رحمه الله تعالى- في بيان صفات المولى -سبحانه وتعالى- التي دلت عليها نصوص السنة، كما مررنا على جملة من الآيات التي تدل على صفات المولى -سبحانه وتعالى- من نصوص القرآن، إلى ذلك العهد، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا هدًى وبصيرةً وعلمًا، يا معلم إبراهيم علمنا، ويا مفهم سليمان فهمنا، نسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وقلبًا خاشعًا، ولسانًا ذاكرًا، اللهم إنا نسألك من كل خير أحاط به علمك في الدنيا والآخرة، ونعوذ بك من كل شر أحاط به علمك في الدنيا والآخرة.

تقول الأخت ليلى: حكم تعلم عقيدة الأشاعرة والماتريدية لغرض دنيوي كمدرس للمادة فقط.

لا يجوز أن يتعلم الإنسان عقائد أهل البدع، يجوز في حالة واحدة فقط، إذا كان قد أصّل نفسه في أبواب الاعتقاد على مذهب أهل السنة، فيقرأ في كتب الآخرين إن كان على سبيل الرد عليها، أو على سبيل التعرض لها لمعرفة سقوطها، ومعرفة عوارها، أما أن يتعلم لغرض دنيوي ويدرس هذه المواد، تدريس هذه المواد معناه أنه سينشرها.

تقول: عندنا في الأزهر نتعلمها.

نعم، في كثير من دول العالم الإسلامي ابتلي الناس بانتشار عقيدة الأشاعرة، مع أن الإمام أبا الحسن الأشعري نفسه -رحمه الله تعالى- قد رجع عنها، من فُرض عليه أن يتعلمها حتى يجاوز هذه المرحلة العلمية يتعلمها، مع تأصيل نفسه في باب الاعتقاد، فقط ليجاوز هذه المرحلة دون اعتقاد لها.

إشكاليتنا أن بعض هذه الشبه إذا قرأها الإنسان قد تعلق في ذهنه والعياذ بالله، وبعد ذلك لا يستطيع الفكاك منها، لذلك كان بعض السلف إذا جاءه المبتدعة وأرادوا أن يكلموه يسد أذنه، فيقول المبتدع: كلمة. فيقول: ولا نصف كلمة. هذا يخشى أن تدخل إليه الشبهة، ثم تعلق بذهنه والعياذ بالله، وهذا ليس معناه جبنًا أو فرارًا، لكن العافية لا يعدلها شيء كما يقول الأئمة، فالإنسان ما دام مستقرًا في معتقده لا ينبغي له أن يدخل على نفسه الشبه، من كعمر -رضي الله عنه- في إيمانه؟ مع ذلك لما كان عنده قطعة من التوراة غضب عليه النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال: «**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والله لو كان فيكم موسى بن عمران ما وسعه إلا أن يتبعني**».

جزاكم الله خيرًا، ونلتقي -إن شاء الله تعالى- في المجلس القادم، إلى ذلك العهد أستودع الله دينكم وأماناتكم وخواتيم أعمالكم.

تم إلقاؤه يوم الأربعاء ٩ رجب ١٤٤١ هـ الموافق ٤\٣\٢٠٢٠

معهد العلوم الشرعية العالمي